

الباب السابع

العودة إلى المعارك في الجبل

obeikandi.com

الفصل الأول

المعارك الشرسة في اللجاة

شعرت قيادة الثورة بأعباء القيادة الثقيلة ومسؤولياتها العظيمة بعد أن قررت توسيع نطاق الثورة ونشاطها إلى المناطق السورية واللبنانية في وقت كانت تجابه فيه آلة الحرب الحديثة المدمرة كما تجابه تصميم الفرنسيين على قهر إرادة الثوار في مختلف جبهات القتال، حتى الإتفاق الفرنسي البريطاني على مضايقة الثوار وقطع طرق إمداداتهم من البلدان العربية المجاورة. وهنا يقول سلطان الأطرش بمذكراته ما يلي:

فذلك ما جعلنا نقرر أن تبقى جلسات أركان قيادة الثورة دائمة الانعقاد بالإضافة إلى الاجتماعات العامة التي كنا ندعو لعقدتها بين حين وآخر كاجتماعات "عري - الرحي - قنوت" لدراسة مختلف شؤون الثورة داخل الجبل وخارجه^(١). وفي حين كانت القوات الفرنسية تحتشد في قرى حوران المتاخمة للجبل. وتظاهر المفوض السامي الجديد المسيو دي جوفنيل برغبة بالسلم فأرسل وفداً للتفاوض مع الثوار مؤلفاً من السادة:

الأمير أمين أرسلان - الأمير طاهر الجزائري - فوزي الغزي - لطفى الحفار - عفيف الصلح - اجتمع هذا الوفد مع قيادة الثورة في شهر شباط سنة ١٩٢٦ ببلدة عري.

فأصر الثوار على تحقيق المبادئ الأساسية للثورة الوطنية التي استشهد من أجلها آلاف المجاهدين وأكدوا للوفد بأنه لا هدنة ولا إلقاء سلاح قبل أن يستجيب الفرنسيون لمطالبهم المشروعة في وحدة الوطن وحرية واستقلاله. لكن المفوض

(١) (١ - ج ٢١).

السامي رفض الاستجابة لهذه المطالب. واستمر بمحاولة الفصل بين الثورة في الجبل ومطالب الثورة السورية الكبرى على مستوى الوطن.....

فأصدر بياناً خاصاً لأهل الجبل وزعه على البلدان والقرى بالطائرات يحرضهم ضد مطالب الثورة العامة ويغريهم بتحقيق مطالبهم الخاصة بحرية الجبل واستقلاله وهذا نص البيان كما ورد بالحلقة ٢١ من المذكرات:

توثيق: (إلى الدروز - لماذا تحاربون؟ قد أتيتكم حاملاً لكم الحق في أن تسنوا دستوركم بنفسكم. وأن تختاروا بذاتكم حكومتكم ورؤساءها فإذا بقيتم على متابعة القتال فإنما تحاربون بذاتكم آمالكم وحريتكم. ولماذا تحاربون، وفي سبيل من تحاربون؟؟ " ذهب إلى رؤسائكم منذ أيام وجهاء الدروز المتألمين للقتال، وإن القتال إنما يسير بالدروز إلى الانكسار والموت والمجاعة، وإن نساءكم وأولادكم يكونون أول الضحايا ". قد أذن الجيش الفرنسي لهؤلاء الأعيان بالمرور لأنني لا أريد أن تحمل فرنسا على عاتقها مسؤولية الولايات التي تهددكم. هذه المسؤولية قد أخذها سلطان الأطرش على نفسه لأنه هو الذي رفض مساعي أخوانكم. المسؤولية عليه ". إن فرنسا وحدها قدירה على أن تنفعم وتقدم لكم القمح والطرق والمدارس والحرية التي بدأت تمتد حسناتها إلى جميع الأنحاء السورية المتعممة بالسلام. إذا سألت دماؤكم بعد الآن واحتجت نساؤكم وأولادكم فلا يكون ذلك ذنباً بل ذنب سلطان الأطرش وذنب الأجانب الذين استأجروا بالمال! أيها الدروز إن الوسيلة الوحيدة للانتصار هي أن تتركوا سلاحكم لأنكم لا تقدر على شيء ضد فرنسا القادرة على كل شيء في سبيل مصالحكم).

المفوض السامي للجمهورية الفرنسية هـ . دي جوفينيل

وقد ورد في الحلقة ٢١ من مذكرات سلطان باشا الأطرش ما يلي:

في هذه الفترة ساد النظام في مناطق الجبل ونواحيه وخيم الأمن... لولا غارات الطائرات المتواصلة على مدينة السويداء وقصف المدفعية للقرى الغربية المتاخمة لحدود حوران بالإضافة لبعض الغزوات البدوية على القرى المتطرفة خاصة اللجاة وهجمات خاضعة لخيالة المتطوعين على طريق المواصلات الشمالية فخشيت قيادة

الثورة من نجاح الفرنسيين بتحقيق خططهم الرامية إلى عزل الجبل عن المناطق الأخرى وقطع الاتصال بقوات الثورة المحاربة فيها لذلك قررت القيادة الانتقال إلى قرية نجران وبعد التداول في الأمر تقرر الاجتماع في قرية داما "في بيت شبيب القنطار" حيث اتخذت القرارات التالية:

١- نقل القيادة إلى اللجاة والتمركز في بعض قرى للسيطرة على سكة حديد دمشق درعا وتأمين طرق المواصلات مع الغوطة والإقليم.

٢- تكليف لجنة برئاسة الأمير عادل إرسال الرد على بيان المفوض السامي كما نشر بالصحف بتاريخ "٢٨ شباط سنة ١٩٢٦" وكان يتضمن الشروط نفسها التي حملها الوفد السابق للمفوض السامي.

وقبل الانتقال إلى قرى اللجاة فاوضت قيادة الثورة شيوخ العشائر البدوية في هذه المنطقة ليكونوا إلى جانب الثورة الوطنية، وبعد أن وعدوا بالوقوف إلى جانب الثورة عادوا إلى ديارهم ليكشفوا عن اتفاق سابق لهم مع الفرنسيين اللذين مدوهم بالمال والسلاح وحرصوهم على منع المجاهدين من الدخول إلى اللجاة. وفي أوائل شباط سنة ١٩٢٦ اتخذت قرية جدل في وسط اللجاة مقراً للقيادة العامة وتوزعت قوات الثورة في القرى الأخرى: صور - جاسم - جسري - كريم - تعاره - والأكرية في قرية الطف الواقعة في أقصى الشمال وكانت أكثر قرى الجبل ممثلة بقياداتها وكبار المجاهدين في تلك القوات^(١)

في هذه الأثناء تبين أن معظم سكان المنطقة في حالة تأهب لقتال الثوار نتيجة تحريض الفرنسيين وإمدادهم بالسلاح والمال كما أسلفنا.

وقد أعدم أهالي خيب رسول الثورة عبود الحمصي رمياً بالرصاص عندما جاءهم يطلب التفاهم مع قيادة الثورة. لكن شيخ عشيرة اللزوق نقل إلى قيادة الثورة أخبار الحملة المؤلفة من حوالي ثلاثة آلاف مقاتل التي جهزها الفرنسيون من بدو اللجاة بقصد مهاجمة المجاهدين حتى قرية جدل نفسها لإخراجهم من اللجاة بالقوة.

(١) مذكرات حلقة ٢١.

وفعلًا في الصباح الباكر من اليوم العاشر من شهر شباط بدأت الحملة زحفها على اللجاة مع طلوع الشمس - تساندها الطائرات بغاراتها الكاسحة فصمد لها الثوار بشجاعة فائقة وردوا الحملة على أعقابها^(١) واستمروا يطاردون فلولها حتى مشارف خبب وكان في نيتهم دخول خبب نفسها لتأديب أعداء الثورة فيها لكن صداقة المجاهدين مع المطران نقولاوس قاضي المستقر فيها أوجبت عليهم تحاشي ذلك وغض الطرف عن الكثيرين ممن خدعتهم سياسة فرنسا من أهاليها.

ويذكر سلطان باشا الأطرش بمذكراته من الذين استبسلوا في هذه المعركة عباس العرييد أبو عاصي وأحمد مريود وإبراهيم ونايف نصر وإسماعيل وفضل الله كنعان وسليم أبو يزيك وسلمان المحيياوي وداوود القيسي نصر وعبد الكريم عامر الذي لقب بعبد الكريم الريف وسلمان وجاد الله أبو سرحان ومسعود ونجم العباس مرشد وهاني عبد الخالق.

ولم يلبث الفرنسيون أن حشدوا القوات في جهات قرية محجة وراحوا يبثون الحماسة فيها كي تعود لقتال الثوار فزحفت على المجاهدين المرابطين في صور وجاسم حيث دارت معركة رهيبة استخدم فيها الأمير عادل أرسلان مدفعاً من عيار ٢٧مم تولى الرماية عليه عبد الكريم المدفعي فمني الأعداء بهزيمة نكراء وتكبّدوا خسائر كبيرة في الأرواح رغم غارات الطائرات الفرنسية المتواصلة على مواقع الثوار دون انقطاع - وقد استشهد من الثوار: رشراش أبو فخر وحسين الغاوي في صور. وداوود القيسي نصر في محجة - وقد نقله مسعود غيث نصر على ظهره إلى لبنان ثم نقل إلى نجران حيث قضى نحبه في اليوم التالي. أما في قرية الطلف فقد حصلت معركة عنيفة مع القوات الفرنسية الزاحفة على المجاهدين من محطة المسمية، فهزموها وأنزلوا بها خسائر كبيرة وظلوا يتعقبونها حتى بلغوا الخط الحديدي فدمروا بعض العربات المصفحة التي وجدوها وعادوا إلى مراكزهم يحملون معهم ما كسبوه من سلاح وذخيرة. وفي الأيام الأخيرة للثوار في اللجاة نشبت معركة كبيرة بين المجموعة التي كان يقودها الأمير عادل أرسلان ومعظم أفرادها من قرية عرمان

(١) مذكرات حلقة ٢١.

المنافسة وبين الفرنسيين وأعوانهم من جهات خب و قد صمد الثوار القلائل أمام هجوم الأعداء الكثرين ثم انقلب صمودهم إلى هجوم معاكس دحر هجوم الأعداء وشتت قواهم.

وقد قتل في هذه المعركة عودة العايش أحد شيوخ بدو السلوط وخسر الثوار مجاهدا كبيرا كما يقول سلطان باشا الأطرش هو إبراهيم نصر شيخ قرية نجران الذي كان ركناً من أركان الوطنية الصادقة في الجبل وقائداً من قواد الثوار البارزين^(١). والجدير بالذكر أن هذه المعارك في اللجاة لم تؤخر المجاهدين عن المهمة الأساسية وهي منازل الفرنسيين في المخافر وأماكن تجمعاتهم في محطات القطار وتخريب السكك الحديدية. وزرع الألغام في قواعد الجسور. وكان أهالي دمشق قد رفعوا احتجاجاً مكتوباً بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٢٦ إلى قناصل الدول، أوضحوا فيه أبرز المبادئ والأسس التي قامت عليها الثورة وكشفوا عن المظالم التي ارتكبتها سلطة الانتداب الفرنسية وسياسة التجزئة التي اتبعتها في حكم البلاد وخاصة تسليحها العناصر المرتزقة من البدو وضعاف النفوس من مختلف مناطق سوريا ولبنان بقصد إثارة النعرات الطائفية والدينية والقبلية والاضطرابات الدامية بين فئات المواطنين. وأقبل نيسان يحمل معه أخبار الحملة الكبيرة التي أكمل الفرنسيون تجهيزها في حوران وتهيأت بقيادة الجنرال أندريا لغزو الجبل. وكان لزاماً على الثوار ترك اللجاة والعودة إلى السويداء. وفي ٢٠ نيسان سنة ١٩٢٦ كانت قوات الثورة تتمركز حول المدينة بعد أن استنفرت جميع القرى لمواجهة خطر الحملة المذكورة التي كانت تتألف من أكثر من عشرين ألف جندي حسب الأخبار الموثوقة بالإضافة إلى الآليات المدرعة وبطاريات المدفعية الثقيلة والطائرات الحربية التي حشدت لمساندتها وتمهيد الطريق لمدينة السويداء^(٢).

(١) مذكرات حلقة ٢١.

(٢) مذكرات حلقة ٢١.

obeikandi.com

الفصل الثاني

احتلال السويداء الثاني ومعارك القرن الشمالي والشرقي

أ- الاحتلال الثاني للسويداء

بعد أن لمع نجم أندريا في الأوساط الفرنسية عامة والعسكرية خاصة تم تعيينه حاكماً للجبل تمرکز في درعا ومن هناك بدأ دعايته السرية والعلنية المصحوبة بالرشوة أحياناً وبالوعدو أحياناً أخرى حتى كان في ٢٢ نيسان سنة ١٩٢٦ يزحف نحو السويداء بعشرة آلاف مقاتل يصحبها ٤ بطاريات مدفعية جبلية وفصيلتان من العريات الرشاشة، وقافلة إمدادات مؤلفة من مئة عربة نقل^(١) فتصدى له الثوار بهجوم الفرسان وطلقات المدفعية من المدفع الذي غنمه الثوار سابقاً لكنه بإمداداته الكثيرة ومدافعه وطائراته أسكت مدفع الثوار وتقدم نحو المدينة فدارت معارك حامية بينه وبين الثوار في الكروم المحيطة وقاسية في أزقة البلدة وساحاتها تمكن بعدها من دخول البلدة على جثث الشهداء في الخامس والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٦.

وقد بدأ مباشرة بمضاعفة نشاطه ومقابلاته السرية والعلنية والوعدو والرشوة مع شيوخ القرى ووجهاء العائلات الذين بدأوا بتقديم طلبات الاستسلام خاصة بعد زيارة المفوض السامي الجديد للجبل وتصريحاته الناعمة ووعدوه المعسولة ممّا شجع المترددين والوصوليين على تقديم خضوعهم بالرغم من استمرار المقاومة تغذيها أموال الإعانات التي كانت تصل بواسطة رشيد طليع من المهجر^(٢).

(١) سلامة عبيد ص ١٨٦.

(٢) سلامة عبيد ص ١٩٣.

ب- بعد احتلال السويداء

أخذ الجنرال أندريا يثبت أقدامه في المدينة بإقامة الاستحكامات والمتاريس على الهضاب المجاورة ويثبت دعواه السلمية ببذل الأموال الطائلة والوعود المغرية لكل من يلقي سلاحه من زعماء الأسر الثائرة، بينما انتقلت قيادة الثورة إلى موقع عين الخشبة شرق الرحى وراحت تعمل على تنظيم الصفوف من جديد وإعادة الثقة للنفوس.

وقد أرسلت حكومة الداماد أحمد نامي بدمشق وفداً لمقر قيادة الثورة الجديد، يبدي رغبة هذه الحكومة بالسلم ووقف القتال حتى تنتهي المفاوضات مع المفوض السامي "دي جوفنيل" وسرعان ما فشلت هذه المفاوضات واعتقلت السلطة الفرنسية بعض أعضاء الحكومة المذكورة - فارس الخوري ولطفي الحفار وحسني البرازي وفوزي الغزي وبدر الدين وأديب الصفدي - ونفت أكثرهم إلى الحسكة بسبب إصرارهم على تحقيق أمانى البلاد بالحرية والاستقلال واحتجاجهم الصارخ على اعتداءات الجيش الفرنسي المتكرر على حي الميدان بدمشق.

وقد واصلت قيادة الثورة الاجتماعات مع الأعيان والمجاهدين في الجبل لمواجهة خطر الدعوة السلمية المضللة، ففي اجتماع قرية العفينة تقرر وضع نقاط مراقبة على الطرق المؤدية لمدينة السويداء لترهيب الراغبين بالاستسلام ومنعهم من الاتصال بالفرنسيين ولم يمانع شيوخ العقل بإنزال عقوبة الإعدام لكل من يستسلم للعدو^(١). وفي الاجتماع الذي عقد في قرية سالي فيما بعد تقرر ما يلي:

مقررات مؤتمر سالي:

- ١- مواصلة الحرب دون هوادة في مختلف جبهات القتال.
- ٢- تجهيز فرق مقاتلة يخصص لأفرادها رواتب شهرية من التبرعات الواردة إلى صندوق الثورة.

(١) مذكرات حلقة ٢٣.

٣- إعادة القوات النازحة من الإقليم لاستئناف القتال هناك بقيادة الأمير عادل أرسلان.

٤- عدم الدخول بمفاوضات مع الفرنسيين إلا على أساس تحقيق مطالب الثورة المعلنة سابقاً.

٥- إنزال أشد العقوبات بالمستسلمين للعدو والمتعاونين معه في مختلف المناطق.

وقد سارت حملة فعلاً بقيادة الأمير عادل أرسلان والمجاهدين الكبار "أسعد كنج أبو صالح - أحمد مريود - شكيب وهاب - حمد صعب - محمود الطويل وغيرهم" فاحتلت مجدل شمس وركزت قيادتها فيها.

ج- حملة الشمال باتجاه شهباء

يقول أندريا: "إن ريح الاستسلام التي هبت في المقرن الشمالي قوبلت بمعاكسة عصابتين تتجولان في جبل شهباء إحداهما في شمال قنوات حتى وادي اللوى بقيادة محمد عز الدين الحلبي - والثانية في جنوب قنوات ومفعلة بقيادة متعب الأطرش. وفي الخامس والعشرين من أيار غادرت السويداء فرقة مؤلفة من سبعة طوابير من المشاة وفرقة من الخيالة وبطارتين من المدفعية ترافقها حيوانات الحمل كالبغال والجمال وبعض السيارات التي يمكنها السير في الطرقات الوعرة^(١).

والحقيقة أن أندريا قرر إرهاب الأهالي وإظهار عجز الثورة عن حمايتهم فسير هذه الحملة الكبيرة تساندها الطائرات - احتلت مدينة شهباء "قليوبوليس" - مكثت فيها يومين دمرت بيوت بعض الثائرين ثم عادت عن طريق بريكة - كفر اللحف - المجدل وقد شن عليها الثوار هجمات متعددة بقيادة محمد عز الدين وفضل الله هنيدي كبدوها عشرات القتلى والجرحى وغنموا الكثير من الأسلحة والذخيرة.

وينكر أندريا: ص ٢١٧ ما يلي:

تركزت الحملة شهباء في الصباح الباكر عائدة إلى السويداء في طريق غير الطريق الذي سلكته في المجيء، فمرت بمردك التي عاد إليها جميع أهلها ما عدا

(١) أندريا ص ٢٠٩.

هايل عامر الذي كان شديد الإخلاص لسلطان ويرأس عصاة من عصاباته. احتجرت أملاك هذا الشيخ ونسف بيته لأنه لم يقبل نصيحتنا بالعودة إلى القرية عند مرورنا فيها.

هـ- مؤتمر شقا

في المؤتمر الكبير الذي عقده قيادة الثورة في شقا تقرر ما يلي:

١- تشكيل إدارة محلية وإعادة تنظيم قوى الأمن الداخلي.

٢- انتخاب مجلس وطني.

٣- تنظيم جيش الثورة في وحدات مقاتلة يرأس كل منها قائد مسؤول عن جميع شؤونها العسكرية والتموينية.

و- اجتماع مفعلة

وقد عقد تحت موجه عاتية من القصف الجوي:

١- تسمية أعضاء المجلس الوطني وتوزيعهم على خمس لجان:

"عسكرية - إدارية - مالية - تموينية".

برئاسة الشيخ يوسف الهجري وأمين السر رشيد طليح كما يتبع:

٢- إضافة مطلبين على مقررات مؤتمر شقا هما:

أ - الإصرار على المطلب الرئيسي للثورة وهو وحدة البلاد السورية.

ب - الموافقة على عقد معاهدة مع فرنسا تحفظ حقوق البلاد كاملة بالحرية والاستقلال.

وينكر سلطان الأطرش بمذكراته ما يلي:

كانت القيادة تتعاون مع شيوخ العقل الثلاثة لتطبيق المقررات "أحمد الهجري - حسن جريوع - علي الحناوي" ومع بعض الشخصيات القيادية لتأمين شراء السلاح والذخيرة من الخارج وتوصيله للمجاهدين - وفي حالة الاستنفار العام كان شيوخ

العقل الثلاثة يعممون الكتب والبلاغات على سائر قرى الجبل لحث الأهالي على الالتحاق بجبهات القتال مع الثورة^(١).

وقد تشكل المجلس الوطني كما يلي:

١- الشيخ يوسف الهجري رئيساً.

٢- رشيد طليع أميناً للسر.

٣- الأعضاء الذين أجمع الحضور على انتخابهم:

عن السويداء: عبد الغفار الأطرش - الشيخ صالح طرييه - علي عبيد - نجم عز الدين الحلبي - محمود دوير.

عن عري: متعب الأطرش - أسد درويش - عقلة القطامي.

عن القريا: علي ذوقان الأطرش - محمد البربور - صياح الأطرش.

عن صلخد: جاد الله الأطرش - علي الحجار - سليم كيوان.

عن ملح: يحيى رزق - سعيد رزق - يوسف العيسمي - عبد الله الجفامي.

عن سالة: سليمان نصار - جاد الله سلام.

عن المشنف: قاسم غانم - يوسف الشاعر - قاسم أبو زيدان.

عن نمرة: اسكندر القلعاني - حمود الصحنائي - حسن ناصيف.

عن الهيت: علي عامر - محمد زين الدين - سلمان مكارم - محمد نوفل.

عن نجران: فتدي أبو فخر - نايف نصر.

عن شهباء: هائل عامر - علي طراد عامر - مصطفى حمشو.

عن عاهرة: حمد عزام - شبيب القنطار - شاهين المحيثاوي - مسعود مرشد -

محمد أبو مسعود.

عن سليم: قبيلان أبو عساف - مسعود غانم - جبر شلفين - وهبة جزان.

(١) مذكرات حلقة ٢٣.

عن المجلد: فضل الله هنيدي - أسعد هنيدي - سليم هنيدي.

عن وادي اللوى: سعيد عز الدين - عبد الكريم عز الدين - هایل زهر الدين - علي هلال - محمد الكفيري.

١- بعض الكتب المعممة من مشايخ العقل - و سلطان الأطرش في تلك الفترة^(١).

٢- كان بعض أعضاء المجلس غائبين عن الاجتماع الذي تم فيه انتخابهم، فبلغتهم قيادة الثورة بذلك ودعتهم إلى حضور جلسة افتتاح المجلس كما هو مبين في كتاب التبليغ المرسل للمجاهد سعيد رزق. وهذا نصه:

حضرة أخونا سعيد بيك رزق الأفخم دام بقاءه. تحية وسلام بعده:

حيث جرى انتخابكم عضواً للمجلس الوطني في حكومة جبل الدروز وكان موعد الاجتماع يوم الخميس القادم الواقع في ٢٠ محرم ١٣٤٥ فعليه ندعوكم باسم الوطن للحضور إلى قرية مفعلة حيث يكون افتتاح المجلس باليوم المذكور، آمليّن من همّتكم العموم أن تبذلوا ما بوسعكم لعمران البلاد ونجاح القضية الوطنية ودمتم محترمين.

سلطان باشا الأطرش

قائد الثورة الوطنية السورية

(١) مذكرات حلقة ٢٣.

الفصل الثالث

حملة الجنوب باتجاه صلخد ومعركة أم الرمان

أ- معركة أم الرمان

ورد بمذكرات سلطان باشا الأطرش ما يلي:

"سار الجيش الكبير الذي أعده الجنرال أندريا في بصرى باتجاه الجنوب والشرق لاحتلال مدينة صلخد، وفي ذيبين نصف الجيش دور بعض المجاهدين: دار حامد وأسد قرقوط - ودار مرعي حاطوم".

ثم سار نحو الشرق باتجاه أم الرمان تتقدمه الآليات المدرعة وخيالة المتطوعة وبدأ الشوار بمناوشته حتى وصل أم الرمان وكان المشاة من بيرق أم الرمان قد نصبوا له كميناً شرق برك الماء والتحموا معه بمعركة ضارية قتلوا فيها عدداً من الجنود واستولوا على أربع آليات وأحرقوها، وغنموا الخيول والأسلحة والذخيرة وقد استشهد في هذه المعركة فارس. معروف ونسيب المغربي "أم الرمان" وفضل الله أبو عبسه "صلخد" حسن الجرمقاني "عرمان" ومن الجرحى حمود البربور ويوسف أبو طافش^(١)

يقول الجنرال أندريا ص ٢٣٠ تحت عنوان - معركة أم الرمان - ما يلي:

"٢٠ حزيران سنة ١٩٢٦ في الساعة الرابعة من صباح هذا اليوم غادر الأعوان مخيم ذيبين تتبعهم السيارات المجهزة بالرشاشات وعلى بعد ١٥٠٠ متر من أم الرمان - انهال عليهم الرصاص كليله أمس ينطلق من ضواحي القرية - فتوقفت الفرقة إذ تعذر عليها التقدم..... فنصح السيد (إبراهيم) الدليل مساعد الضابط قائد الفرقة (.....) الفرنسي أن يدخل من الجنوب لأنه يعرف أراضي تلك الجهة معرفة تامة - وسرعان ما نفذ القائد الخطة فاندفعت الفرقة مسرعة نحو الشمال. ففر الشوار خوفاً من التطويق والأسر فدخل رماة البلدة تتقدمهم السيارات الرشاشة وانطلق الأعوان باتجاه تل بركات.

(١) مذكرات حلقة ٢٤.

أما من الجهة الشمالية فكانت الحالة على عكس ذلك بالنسبة للفرقة التي هاجمت برج القلعة لأن العدو كان قوي التمرکز فيه فدارت معركة قاسية جداً اضطرت فيها المدفعية كلها أن تعمل على ضرب تلك الجهة - ولم يتراجع الثوار إلا بعد أن فاجأهم عربات الهجوم فتمركز مكانهم الرماة مانعين أية محاولة للثوار للعودة إلى أم الرمان. ثم تابعت الفرقة سيرها إلى الأمام تجتاز شوارع القرية فاضطرت لنسف الحيطان وزوايا البيوت لتفتح للمدافع والشاحنات طريقاً للممرور "هذه عملية نسف بيوت الثوار في القرية"^(١)

وما كادت المعركة تشرف على الانتهاء حتى وصل أحد الفرسان الجنود يخبر أن فرقة السيارات الرشاشة عقلت في أم الرمان في شارع صغير لا مخرج منه.

فأعطت الأوامر لإنقاذها فوراً فاتجهت فرقة من برج القلعة إلى أم الرمان تلحق بها بطاريتان من مدفعية ٧٥ وفرقة من عربات الهجوم، لكن لم يمض خمس دقائق على ذلك حتى رأينا عموداً من الدخان الأسود الكثيف يعلو فوق المكان الذي عقلت فيه فرقة الآليات..... وبعد أن وصل ضابط الآليات أعلن أنه حين انقطع اتصاله بالحملة وسدت في وجه السيارات المنافذ لا سيما بعد أن تعطلت السيارات في المؤخرة تعذر التقدم والتأخر والتحرك إلى أية جهة عند ذلك أشعل النار في الآليات منسحباً مع رجاله هرباً من رصاص الثوار الذين كانوا قد دخلوا البلدة. يضيف أندريا مبرراً: إنه حادث يدعو للغضب..... إنه هروب مؤسف، بل مخجل يلحق عيباً كبيراً لقائد الفرقة. أعيد تشكيل الحملة، فتابعت سيرها حتى وصلت الغارية حيث نصبت خيامها^(٢).

ويضيف أندريا قائلاً: معركة أم الرمان كانت أشد المعارك ضراوة بعد معركة السويداء. خسائرنا سبعة قتلى وأربعون جريحاً أكثرهم من فرقة برج القلعة وقد علمنا أن سلطان كان يقود الثوار بنفسه وهذا يدل على المقاومة المستميتة التي عزم عليها الثوار. إنها معركة باهضة التكاليف لكننا اقتحمنا موقع أم الرمان وها نحن الآن في طريقنا إلى صلخد.

(١) المترجم.

(٢) أندريا ص ٢٣.

ب- معركة عنز

بعد معركة أم الرمان تقدمت الحملة الفرنسية حتى تمركزت في تل بركات وتل شبيح قرب الغارية - وفي اليوم التالي توجهت نحو قرية عنز فاشتبك معها الثوار بمعركة ضارية من وراء متاريسهم الصخرية المنيعة كبدوا فيها العدو خسائر كبيرة بالأجساد والعتاد - بالرغم من قنابل المدفعية والطائرات التي كانت تتساقط عليهم بغزارة - ومن شهداء هذه المعركة شهاب حمد أبو لطيف^(١) - وقد تقدمت الحملة حتى قضت ليلتها في قرية المشقوق تستعد للهجوم على صلخد.

ج- احتلال صلخد

تحصن الثوار في تل عبدمار وتل الحبس على جانبي طريق الحملة إلى صلخد - وقد كان من الصعب وربما من المستحيل تقدم الحملة باتجاه صلخد ما دام الثوار في هذه الحصون الصخرية المرتفعة. وفي غفلة وإهمال الثوار ليلاً عندما نزلوا إلى القرى المجاورة لجلب التموين والذخيرة احتلت خيالة الحملة الفرنسية ومشاتها هذه المرتفعات^(٢) لتسيطر على الطريق المنخفضة بينها فأبعدت الثوار عندما عادوا في الصباح الباكر عن هذه التحصينات وأصبح الطريق إلى صلخد مفتوحاً أمام الحملة دون مقاومة تذكر خاصة وقد كانت قنابل الطائرات والمدافع منذ الصباح الباكر تشتت عصابات الثوار المقترية منها في كل اتجاه وهكذا سقطت مدينة صلخد في الرابع من حزيران سنة ١٩٢٦ بالرغم من محاولات الصمود الأخيرة التي أبدتها الثوار في أطراف المدينة.

د- اجتماع عيون

اجتمع الثوار في اليوم التالي لسقوط صلخد في موقع "عيون" وقد أصيبوا بخيبة أمل كبيرة خاصة بعدما تأكدوا من ازدياد عدد المستسلمين والمتطوعين مع السلطة الفرنسية واستخدام الطائرات لتدمير مخيماتهم في الصفاة واللجاة.... وغيرها. لذلك تقرر في اجتماع عيون مفاوضة الحكومة الأردنية لقبول عائلات الثوار داخل حدودها.

(١) مذكرات حلقة ٢٤.

(٢) أندريا ص ٢٣٩.

فأرسل وفد إلى عمان برئاسة السيد يوسف العيسمي واستجابت الحكومة الأردنية لهذا المطلب وبدأ ترحيل النساء والأطفال إلى الأزرق، يحميمهم فريق من فرسان الثورة بقيادة زيد الأطرش شقيق سلطان باشا الأطرش، أما الحملة الفرنسية بعد أن وطدت أقدامها في بلدة صلخد ركزت مدافعها على المرتفعات حتى على تل خضر متان وأخذت تتجول في المنطقة تحت حمايتها مع آلياتها المدرعة وجحافل فرسانها متان - ملح - الهوى - عرمان - ثم العودة إلى صلخد.

هـ- مؤتمر الملك فيصل في الأزرق ومؤتمر خازمة

أواخر حزيران سنة ١٩٢٥ كان الملك فيصل في طريقه إلى أوروبا عندما تشكل وفد من المجاهدين لمقابلته في الأزرق على رأسه الدكتور الشهبندر - نسيب البكري - نزيه مؤيد العظم - عقلة القطامي - علي عبيد - يوسف العيسمي - الأمير حسن ومتعب سلامة وعلي مصطفى وعلي ذوقان الأطرش وكان مع الملك فيصل ملك العراق توفيق السويدي، ورستم حيدر، تحسين قدري تداول الجميع بشؤون سوريا عامة والثورة خاصة وطلبوا من الملك تجديد مساعيه لدى المحافل الدولية لوضع حد للأعمال الإرهابية وأساليب القمع الوحشية التي كانت ترتكبها السلطة الفرنسية المنتدبة في سوريا، وقدموا له مذكرة تتضمن المطالبات المنصوص عليها في الميثاق الوطني الذي كان الدكتور الشهبندر قد وضعه أثناء وجوده في الأزرق بالتعاون مع السيد حسن الحكيم وسعيد حيدر وأقرته أركان القيادة العامة للثورة في حينه^(١) وقد جاء بالمذكرة ما يلي:

- ١- اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال سوريا التام.....}}
- ٢- تحويل الانتداب إلى معاهدة تعقد بين فرنسا وسوريا المستقلة..}}
- ٣- تحقيق الوحدة السورية بما فيها طرابلس الشام وأقضية عكار وبعلبك..}}
- ٤- توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية.
- ٥- دخول سوريا في جمعية الأمم.

(١) مذكرات حلقة ٢٥.

٦- تأليف جيش وطني.

٧- إصلاح النظام النقدي وإعادة العملة على أساس الذهب.

٨- العفو العام عن جميع الجرائم السياسية بدون قيد أو شرط.

٩- إلغاء الغرامات الحربية المفروضة في جميع أنحاء البلاد.

١٠- التعويض على المتضررين بالحرب كافة.

ملاحظة:

ذكرنا هنا البند الرئيسي في كل فقرة فقط..... التفصيلات في المذكرات

حلقة ٩٢٥

و- مؤتمر خازمة

على أثر عودة الوفد من الأزرق إلى الجبل عقد المجاهدون مؤتمراً في قرية خازمة شمال شرق متان تقرر فيه تشكيل لجنة عليا لمعالجة مشاكل المجاهدين المستجدة وتنظيم شؤونهم المالية - على ضوء المعلومات التي نقلها إليهم الشهبندر عن تشكيل لجان جمع التبرعات والإعانات في الحجاز والعراق ومصر وأوروبا والمهاجر الأمريكية - كما اطلع المجاهدون على بيان المغفور له سعد زغلول في مصر في بداية الثورة "كانون الأول سنة ١٩٢٥" لمساعدة الثورة السورية الكبرى وتقديم أقصى ما يمكن من العون المادي والمعنوي لها وقد ردت قيادة الثورة على هذا البيان بمنشور مناسب في حينه.

لم ينتج عن اجتماع الأزرق مع الملك فيصل ما يستحق الذكر، كذلك القول في مقابلة بعض زعماء الثورة لفيلبي^(١) في الثامن من الشهر نفسه وظهور بعض زعماء حوران ودمشق في اجتماع الكرك الذي رأسه الأمير عبد الله، وقد استغل الفرنسيون وجاسوسيتهم هذه الاجتماعات للضغط على انكسار من أجل إقصاء الثوار عن منطقتها ولتجديد اتهامها بالتآمر على سلامة فرنسا في سوريا.

(١) سلامة عبيد ص ٢٠٤.

obeikandi.com

الفصل الرابع

معارك الشمال والشرق في الجبل

أ- احتلال شهباء الثاني آب ١٩٢٦

بعد معارك صلخد قررت قيادة الثورة إعادة النظر في نظام قواتها المحاربة تمشياً مع الظروف والأوضاع العسكرية التي كانت تواجهها.

١- اجتماع بوسان:

في ٢٧ نيسان عقد اجتماع كبير بقرية بوسان في المقرن الشرقي تقرر تقسيم قوات الثورة المحاربة إلى ست مجموعات ينتظم في كل منها أبناء المنطقة التي تعمل فيها. فكانت إحداها بقيادة الأمير علي أخي سلطان تعمل في المقرن القبلي والثانية بقيادة سليمان نصار في المقرن الشرقي. والثالثة بقيادة زيد عامر في شهباء والرابعة بقيادة محمد عز الدين في وادي اللوا والخامسة بقيادة فضل الله هنيدي في المقرن الغربي والسادسة بقيادة الأمير عاد أرسلان وقد تألفت من مجاهدي الإقليم ولبنان وبعض أبناء الجبل (م. ح. ٢٥).

يقول أندريا ص ٢٩١:

"تركزت السويدياء قوة عسكرية مؤلفة من خمسة طوابير وبطارياتي مدفعية وفرقتين من المشاة المغاربة وفرقة ثالثة من الأعوان وذلك في ٣ آب متوجهة إلى اللجاة وقد وجهنا القوة لهذه المنطقة لإعادة اعتبارنا وإظهار قدرتنا بعد أن رفض مشايخها الاستسلام".

عند المزرعة وعلى مشارف قرية السجن اشتبكت الحملة مع الثوار بمعركة حامية دامت حتى الليل تكبدت فيها الحملة خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد^(١) بعدها يذكر أندريا تحت عنوان معركة نجران ما يلي: ص ٢٩٣

(١) مذكرات حلقة ٢٥.

"ماكاد الأعوان يخرجون من قرية السجن حتى التحموا مع الثوار في معركة عنيفة شرسة صعب الصمود فيها، لا سيما وقد اختبأ العصاة خلف الصخور وبين الحفر بشياهم السوداء التي تكاد تخفيهم عن الأنظار، لكن أعواننا قاوموا بشراسة انتقاماً لضحاياهم التي فقدوها أمس.

لم تعانِ الميسرة متاعب أما الميمنة فخضعت لامتحان رهيب فقد أنصبت عليها جهود العدو بأكملها فهاجمها عز الدين الحلبي بوحشية آتياً من وادي اللوا. أصاب الرصاص القافلة فمات عدد كبير من الضحايا مما أثار المدفعية فقابلت هذه الجراءة بقنابل لم تكن تدرك أين تصبها بعد أن توزع الثوار في كل مكان يختبئون بشياهم السوداء، وحفاظاً على معنوية الجنود راحت المدفعية تطلق قنابلها على أي شيء يتحرك، أما الطيارون فقد قاموا بأعمال خارقة فطاروا على علوٍ منخفض كاد يحطم طائراتهم على الأرض فأمطروا بقنابلهم ورصاص رشاشاتهم جموع الثوار.

أما العدو برماته البارعين فكان يستحيل إبعاده عن الصخور التي يحتلها لكن شجاعة جنودنا الخارقة وغارات الطائرات المتلاحقة دفعت الثائرين أخيراً إلى التفرق شيئاً فشيئاً فخيم الهدوء بعد تلك العاصفة الهوجاء فدخلت الحملة نجران بالرغم من مقاومة أهل القرية ثم تابعت حتى عاهرة.

وفي السادس من أيار سنة ١٩٢٦ انطلقت الحملة من عاهرة على الطريق نفسها نحو المزرعة وقد تعرضت لاشتباكات عنيفة بعد خروجها من نجران مع الثوار الذين سارعوا لقطع الطريق عليها فأمطرتهم بطائراتها ومدافعها ناراً حامية أدت لسقوط عدد من الشهداء بينهم المجاهد الكبير فضل الله هنيدي أحد أركان قيادة الثورة البارزين حيث استشهد في موقع قلاع الجف بين نجران والمجدل ويقول سلطان الأطرش:

"لقد فقدنا باستشهاده أعز صديق وأوفى رفيق على طريق النضال منذ أيام الثورة العربية الكبرى. ومن شهداء هذه المعركة نايف إبراهيم العباس وعلي هاني عزي من السويداء^(١). وبعد أن انضم إلى الحملة في الثامن من آب شاحنات السويداء

(١) مذكرات حلقة ٢٥.

مرت في ٩ آب في كفر اللحف وريمة الفخور وقد نازلها أبناء المقرن الشمالي قرب بركة وعلى هضاب شها بمعارك ضارية كبدت العدو خسائر فادحة وبرهنت له بالدليل القاطع أن الذين تظاهروا بالولاء له. لم يقفوا إلى جانبه عندما جد الجد واضطروا إلى الكشف عن هويتهم الوطنية الحقيقية وهكذا فشل أندريا في التوغل بأرض اللجاة وعاد ليدخل شها عنوة في العاشر من آب سنة ١٩٢٦^(١).

ب- معركة السوخر

بينما كان سلطان الأطرش وبعض المجاهدين في أراضي قرية بكا يقطعون الطرق على قوافل التموين والعتاد الفرنسية القادمة من بصرى اضطروا للمبيت في خربة السوخر قرب بكا وفي الصباح الباكر هاجمهم فرق المتطوعة وطائرات العدو التي اكتشفت مكانهم فخاض المجاهدون مع العدو معركة كبيرة كبده فيها خمسة عشر قتيلاً وعدداً أكثر من الجرحى وقد قتل جواد سلطان الأطرش فترجل يقاتل على الأرض حتى شن رفاقه المجاهدون هجوماً صاعقاً على العدو شتتوا شمله وقدموا له جواداً جديداً ليتابعوا المعركة حتى تقهر العدو وغنم المجاهدون كثيراً من السلاح والذخيرة وبعض الخيول.

ج- معركة قيصما ٢٢ آب سنة ١٩٢٦

كان بعض الثوار يقضون هذه الليلة في قرية قيصما حين استيقضوا في الصباح الباكر على أصوات الأهالي يرددون: العسكر العسكر ... فخرجوا من المنازل يتركزون في الأماكن المشرفة على السهول المجاورة حيث كانت القوات الفرنسية منتشرة تتقدم نحوهم بخطة حربية ساندتها فيها بعض الطائرات بقنابلها ورشاشاتها تصب نيرانها على القرية وما جاورها، وقد انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للعدو أسر فيها ضابط فرنسي هو الملازم سوكر وثلاثون جندياً من المتطوعين وغنم المجاهدون الكثير من الأسلحة والذخيرة، وكان هذا الانتصار حافزاً لكثير من الشبان الذين استسلموا من قبل للفرنسيين على الانضمام من جديد لصفوف المجاهدين، وكان

^(١) أندريا ص ٢٩٦.

من شهدائنا. سليمان جودية - خليل نصر - خزاعي الملحم - وامرأة تدعى سكرية جودية م.ح ٢٥

د- معارك وادي اللوا والمقرن الشرقي

كانت قيادة الثورة قد نقلت مقرها إلى مخيم أهالي سالي وآل نصار في النمري في البادية الشرقية عندما جاءهم "مفزع" خيال يعلمهم أن أندريا زحف على وادي اللوا بجيش جرار في ٢٣/آب/ ١٩٢٦ واجتاح قرى السويمرة - المتونة - لاهثة - الصورة - ذكير - وخلخلة - أم حارتين وحزم - حتى نصب الخيام في الصورة الكبيرة وهنا وافتهم بعثة ثانية أرسلها قائد منطقة دمشق عن طريق براق بقصد تطويق الثوار بالمنطقة.

وخاض معهم ثوار المقرن الشمالي البواسل معركة ضارية بقيادة محمد عز الدين الحلبي كبدوا الفرنسيين خسائر كبيرة بالأرواح وأسقطوا طائرة حربية وحرقوا ثلاث مصفحات وأجبروا أندريا على الابتعاد شرقاً عن تخوم اللجاة معاقل الثوار نحو الهيت واليهات حيث عاد إلى شهابا عن طريق شقا مخلفاً وراءه جرائم النسف والتدمير لبيوت المجاهدين بالديناميت وقتل حتى بعض المستسلمين مثل الشهيد شحاذي الكفيري من قرية ذكير.

يقول سلطان الأطرش:

وقد زاد عدد شهدائنا على العشرين بينهم المجاهد الشائر معذى المغوش من رفاق النضال القدامى الذين وضعوا أنفسهم في خدمة القضية العربية وضحوا بكل ما يملكون في سبيل تحقيق المبادئ الوطنية التي نادى بها ثورتنا. كما عرفنا منهم سلمان المحيّاوي - محمد محرز - حسين أبو حمرة و خليل باشا^(١).

أما أندريا فيقول ص ٣٠٥ - مرت الحملة في آب في قرية خلخلة التي أدهشتنا بعض بيوتها الجميلة، فاستقرت فيها كتيبتان ويطارية واحدة وجميع الفرق الخيالة

(١) مذكرات ح ٢٥.

بينما تابع القسم الباقي من الحملة مسيره إلى قرية الصورة الكبيرة حيث نصب خيامه. وبعد قليل وافته حملة بعث بها قائد منطقة دمشق غايتها تطويق الثوار.

بعد الظهر أطلق الرصاص على مخيم خلخلة من بين الصخور الغربية فأسرع الأعوان يتوغلون في منطقة الغور^(١) لمقاومة الثوار المتفرقين. دامت المعركة حتى الليل عاد بعدها أعواننا يحملون قتيلين من أخوانهم ولم تعرف خسائر العدو.

بعد أن قضت الحملة يومين في أقصى الشمال عرجت على شهباء، وقد دخلت الفرقة السنغالية اللجاة تساندها الطائرات جواً. وفرقة الأعوان الدروز والمدفعية برأ. فحاضت معركة دامت ساعة، انسحب على أثرها الثوار إلى جهات مختلفة دون أن يتدرّكهم أذى. ثم عادت الفرقة السنغالية تحمل ثلاثة قتلى بينهم ضابطان وعشرون جريحاً عدا المفقودين دون أن نتمكن من اعتقال درزي واحد - "المفقودون معناه القتلى - أكثرهم -"

درس جديد تعلمناه وهو أن لا فعالية للجيش النظامية في مثل هذه الأرض، وأمام عدو يجيد إطلاق الرصاص كالدروز. "أندريا".

هـ - معركة الرشيد وفاجعة البطل رشيد طليع

تحرك أندريا بجيشه في مطلع أيلول سنة ١٩٢٦ على المقرن الشرقي باتجاه طربا حيث كان الثوار قد أسقطوا له طائرة حربية في شهر أيار السابق بجوار قرية طربا واتهم هايل سلام بقتل طيارها. وقد بدأ بطربا نسف دور المجاهدين بالديناميت انتقاماً لمقتل الطيارين فيها. بالأخص دار زعيم القرية جاد الله سلام^(٢).

يقول أندريا ص ٣١٣ انتشلنا الجثتين وهدمنا منازل المشايخ وعلقنا لافتة ليقرأها كل من يمر بذلك المكان. بعد خروج الجيش من طربا اشتبك مع الثوار بمعارك متعددة حتى وصل قرية الغيضة "غيضة حمايل" وخيم قريبا، وقد توالى النجذات على الثوار من الصفاة واللجاة ، مما ساعد على تشكيل جبهة ممتدة من رجوم بشير

^(١) أندريا ص ٣٠٥، الغور يعني بها اللجاة.

^(٢) مذكرات ح ٢٥.

شرقاً حتى تل الجبا غرباً بطول ستة كيلومترات. أو من قرية بوسان غرباً حتى قرية سعنا شرقاً.

أظهر العدو في هذه المعركة شراسة لا مثيل لها في قتاله فكانت قنابل طائراته تتساقط على الثوار من كل جانب وصخور المتاريس تنفتت من حولهم وتتطاير شظاياها بفعل قذائف المدفعية وكثافة نيران رشاشات العدو الثقيلة. مع ذلك فقد استبسل الثوار وأظهروا من الشجاعة والمهارة والجرأة بمقارعة العدو ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز^(١) خاصة عندما التحموا بجناحه الأيسر ومزقوا فصائل جنده شرّ ممزق. وجعلوها تنقهقر على غير هدى باتجاه وادي الرشيدة بعد أن كبدها خسائر فادحة بالأرواح وتوجوا نصرهم المؤزر بإسقاط طائرة حربية مغيرة واستولوا على كميات وفيرة من السلاح والذخيرة.

وقد حضر هذه المعركة التي دامت حوالي خمس ساعات أكثر القادة وكبار المجاهدين حقق الثوار خلالها نصراً كاملاً على القوات الفرنسية ألهب حماس الشعب وألهب فيه روح الصمود. ودفع المتطوعين إلى الالتحاق بفصائل الثورة من جديد.

"أما أندريا فيذكر ص ٣١٦ تحت عنوان معركة رشيدي ما يلي:

كانت الطريق بعد الشبكي تنحدر نحو السهل انحداراً بطيئاً ماراً بسفح اسعنا والرشيدة.

الذين أهدأت عنهما الأخبار، أنه يصعب اجتيازهما على الشاحنات..... وقد غزر الرصاص على المؤخرة فالثوار يقتربون ويهاجمون حامية المؤخرة عند التحامها بالميسرة^(٢)، ركزت المدفعية عليهم قنابل غزيرة متلاحقة حتى أوقفت الهجوم.....

(١) مذكرات ح ٢٥.

(٢) أندريا ص ٣١٧.

ويضيف أندريا قائلاً:

موقف العصابات في معركة "رشيدي" أظهر تماماً نواياها وخلفتها فهي بعد إدراكها صعوبة الطريق التي تسلكها الشاحنات والعربات قررت فيما بينها مهاجمة الحملة في هذه النقطة على النحو التالي:

تهاجم المؤخرة عصابة عز الدين الحلبي القادمة من الشمال وتهاجم الميسرة عصابة سلطان الخارجة من غور الصفا، وتهاجم اليمين عصابة رشيد طليع القادمة من الغرب.

أما المقدمة فلم يكن لها شأن في الخطة فتقدمت الحملة مارة بشعف والحريسة ثم وصلت إلى الهويا حيث نصبت خيامها فيها لمدة يومين في سهل منبسط نظم فيه مطار محدود حطت فيه طائرات الإسعاف لنقل المرضى والجرحى الذين أصيبوا في المعركة الأخيرة.

وفي الثاني عشر من أيلول مرت الحملة ليلاً من ملح للمرة الثالثة ودخلت صلخد لتحتفل بقدومها حامية صلخد التي ما زالت تنتظر عودتها من تموز الماضي^(١)...

ويضيف سلطان بذكراته ما يلي:

ومن الذين رووا تربة هذا الوطن بدمائهم الزكية هنا: عبد الحليم الجردي الشويفات لبنان - هلال أبو زيدان العجيلات - محمد الغوطاني وجابر سراي الدين أم رواق - قاسم سلامة وولده محمد الشريحي - سالم كمال سالة - مصطفى وقلان الشاعر ومحمد سلام بوسان - أحمد الجوجو وحسن وعلي وسالم أبو حجيلي وفرحان الخطيب طريا - نور الدين رزق دمشق - شحاذي حيدر صلخد - سلمان وسليم عليه سعنا - سليم حرب وأحمد حسين حرب دوما - سلمان الداووك عريقة، ومن الجرحى المجاهد الكبير حمد صعب^(٢).

(١) أندريا ص ٣١٩.

(٢) مذكرات ح ٢٥.

وفي أواخر أيلول سنة ١٩٢٦ فجئنا بوفاء المجاهد الكبير رشيد طليح ببلدة شبكي أثر مرض معوي أصابه بصورة مفاجئة. ففقدنا بوفاته ركناً من أركان الثورة ورجلاً من خير رجالات العرب الأفاضل.

و- معارك اللجاة الأخيرة

منذ دخول الفرنسيين شهباً في ١٦ أيار سنة ١٩٢٦ بدأ ثوار المنطقة الشمالية والغربية بالانسحاب إلى اللجاة التي تعتبر معقلاً من أمنع المعاقل فركزوا عيالهم وطروشهم في وعر هذه المنطقة وتقدموا عصابات لعصابات المناوشة القوات الفرنسية ومنعها من اتخاذ مراكز ثابتة لها. ولتعطيل الخط الحديدي الذي أثر تأثيراً كبيراً على حركة التموين والنقل. وإلى اللجاة انتقل قادة الثورة الكبار سلطان والأمير عادل أرسلان ومحمد عز الدين والشهيد حمد صعب وغيرهم، تؤازرهم مجموعات باسلة من أبناء تلك المنطقة متمرسه وخبرة^(١) - "شبيب القنطار - شاهين المحيثاوي - نايف نصر - حسان أبو سرحان - شلغين - مرشد - إلخ"

ظلت الثورة مشتتة في اللجاة بعد أن أخمدت في أكثر مناطق الجبل والغوطة سنة كاملة دار فيها الكثير من المعارك العنيفة وتكبدت فيها القوات الفرنسية وعلى الأخص الطيران خسائر جسيمة - وقد ساعد على استمرار المقاومة هنا إلى جانب شجاعة الثوار النادرة - وعورة المنطقة وموقعها بين الغوطة والمقرن الشرقي والجنوبي والأزرق. لذلك كانت اللجاة المعقل الأخير الذي اعتصم به الثوار على عادتهم في الحروب الطويلة التي مارسوها. وقد كابد الثوار في هذه المنطقة من الأمور التالية:

- ١- التقصير في التموين.
- ٢- نقمة البدو فيها وتعاونهم مع الفرنسيين.
- ٣- سيادة القوات الفرنسية في الجو.
- ٤- استخدام الفرنسيين للمتطوعين من أبناء المنطقة.

(١) سلامة عبيد ص ١٩٦.

٥- إغراء الزعماء المستسلمين لرفاقهم وأصدقائهم في الثورة.

٦- فشل مد الثورة لمناطق سورية أوسع^(١).

تمركزت الثورة سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ في قلب اللجاة في "ضام - الجردة - صور - جدل - بعيداً عن مدى المدفعية ومفاجأة الجيوش النظامية، أما ثقل المعارك فكان يدور غالباً في أطراف اللجاة وقرى وادي اللوا. أما الخط الحربي الثاني للشوار فكانت تشكله قرى مجادل - صميد - وقم - وقد تعرضت القرى الأخيرة لأشد الغارات الجوية وحشية.

وكانت مقاومة الثوار في سنة ١٩٢٧ قد تركزت في قلب اللجاة بعد أن أجمدت في مجمل أنحاء الجبل والغوطة - وجبل الشيخ وقد أصبح الأمل بانتصار الثورة مفقوداً ولم يعد الاعتصام باللجاة إلا بمثابة الطلقة الأخيرة^(٢) وقد قررت القيادة الفرنسية في مطلع ربيع هذا العام سنة ١٩٢٧ الإجهاز على هذا المعقل الأخير الذي أطلق عليه بعض الكتاب الفرنسيين "قلعة الله" وقد اتبعت القيادة الفرنسية الخطة التالية المثبتة في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق الفرنسي. وقد أورد هذه الخطة الأستاذ سلامة عبيد في كتابه: "الثورة السورية على ضوء وثائق لم تنشر ص (٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣)

الخطة حسب ما وردت بالكتاب الذهبي لجيوش الشرق.....

كانت الخطة ترمي إلى إبادة الثوار المعتصمين أو على الأقل إرغامهم على إخلائها وهكذا وجهت إلى قلب تلك المنطقة الوعرية خمسة أرتال، أُشير إليها بالأحرف التالية: A:B:C:D:E تنطلق من عدة نقاط وغايتها جميعاً قريتا (صميد ووقم) في قلب اللجاة.

^(١) سلامة عبيد ص ١٩٨.

^(٢) سلامة عبيد ص ٢٠١.

١- الرتل A: ويتألف من أركان حرب فيلق من الرماة الإفريقيين ولواء من الرماة المراكشيين، وكتيبتين من الرماة التونسيين ومفرزة سريعة، وتنطلق من المسمية، وهي محطة للسكة الحديدية على تخوم اللجاة الغربية.

٢- الرتل B: ويتألف من أركان حرب فيلق الرماة المراكشيين ولواءين من الفيلق نفسه ومن مفرزتين سريعتين وكوكبة شركسية وينطلق من خلخلة وهي على تخوم اللجاة الشرقية الشمالية.

٣- الرتل C: ويتألف من لواء من الرماة الإفريقيين ولواء من الفيلق الأجنبي ومفرزة فرسان درزية ينطلق من تل الخالدية. وهي على تخوم اللجاة الشرقية.

٤- الرتل D: ويتألف من لواء من الرماة المراكشيين وكوكبة درزية سريعة وسرية من البطارية الجبلية تنطلق من قرية عاهرة "عريقة" لتكون سداً في وجه المتراجعين من الثوار نحو الجنوب.

٥- الرتل E: ويتألف من لواء من الرماة الإفريقيين ومفرزة سريعة تنطلق من محجة وهي على تخوم اللجاة الغربية.

في حين تستمر الطائرات من دمشق وإزرع ودرعا وكلها مطارات قريبة في قصف المنطقة قصفاً متواصلاً وفي حين تتحرك قطع عسكرية خيالة وسيارة للمراقبة حول اللجاة وهي تتألف من:

- ١- أربع كوكبات شركسية من الشرق للمراقبة بين الصورة الكبيرة ولاهثة.
- ٢- ثلاث كوكبات درزية سريعة من الشرق للمراقبة بين لاهثة ومجادل.
- ٣- كوكبتين من الصباحيين الجزائريين وفريق من الفدائيين التابع للرماة التونسيين ومفرزة مدفعية رشاشات للمراقبة بين السجن وشقرة من الجنوب.
- ٤- كوكبة من الصباحيين المراكشيين للمراقبة بين جباب والصورة الكبيرة في الشمال.

كانت الطائرات منذ أن اعتصم الثوار في اللجاة لا تنقطع عن ضرب قرى تلك المنطقة ومخيمات المقاومة فيها.

وفي صباح التاسع والعشرين من آذار سنة ١٩٢٧ طوقت قطعات الفرسان الخمس منافذ اللجاة - في حين راحت الطائرات تركّز قصفها على الشمال والشمال الشرقي من صميد، وهكذا بدأت المعارك عنيفة حول لاهثة ومجادل في اليوم نفسه ضد المتلوّعة الدروز الخيالة والفدائيين من الرماة الإفريقيين. وفي الثلاثين من آذار استطاع الرتل E الزاحف من محجة أن يصل إلى مشارف وقم حيث نشبت معركة غير متكافئة في حين وصل الرتل D الزاحف من عريقة إلى مشارف صميد. وهكذا تم الاتصال بين هذين الرتلين الزاحفين من محجة في الغرب ومن عاهرة "عريقة" في الجنوب.

أما الرتل C الزاحف من تل الخالدية في الشرق فقد لقي مقاومة ضارية لم تمكنه من الوصول إلى هدفه بل اضطرتّه إلى أن يعسكر على بعد أميال من صميد وإلى أن يطلب النجدة من الرتل D القادم من عاهرة، والذي كان قد خيم في مشارف قرية صميد وأقام فيها سداً من الاستحكامات.

ومن المسمية تقدم الرتل A نحو الجنوب مسترشداً بالطريق الرومانية المتهدمة "الرصيف الروماني" إلا أنه قوبل بمقاومة عنيفة عنيدة صادرة من منطقة الطف إلى الشرق من الرصيف الروماني، وفي منتصف المسافة بين المسمية وخلخلة حيث كان قد استقر ثوار منطقة وادي اللوى بقيادة المجاهد محمد عز الدين الحلبي مع عائلاتهم وكانت مقاومة الثوار عنيفة بأسلة أرغمت الرتل على التوقف وطلب النجدة، فأسرعت الطائرات من دمشق لنجدة وتقدمت مفرزة بالرشاشات وكتيبة من الرتل المرابط في وقم للاتصال به ولكنها شتّتت على مسافة قريبة إلى الشمال من وقم، وعندئذ وجه الجنرال "فالييه" - قائد جيوش دمشق وجبل الدروز وحوران - جميع الطائرات الجاهزة شداً لأزره، وأصدر أمره إلى قادة الأرتال الثلاثة (B-D-E) بالتقدم لملاقاة الرتل A المحاصر. إلا أن عنف المقاومة التي واجهتها هذه الأرتال عن ميسرتها من ثوار قرى جرين ولبين وداما وعن ميمنها من ثوار قرى مجادل وصميد ووقم والخرسا وقرى وادي اللوى، تلك المقاومة العنيدة لم تمكنها من تنفيذ خطتها، وظل الرتل - A - القادم من المسمية في الحرج الشديد لا تخفف عنه المحنة

التي تورط فيها غير غارات الطائرات المتلاحقة، رغم الخسائر الكثيرة التي أصابتها وأودت في أكثر الحالات بطياريهما "الكتاب الذهبي ص ٢٣٨-٢٣٩".

أما الرتل - B - القادم من خلخلة فقد لقي هو أيضاً مقاومة شديدة في منطقة ذكير وما حولها، وعندما طُلب إلى هذا الرتل مؤازرة الرتل القادم من المسمية كان في أشد الحاجة إلى النجدة، تلك النجدة التي وافاه بها الرتل - C - القادم من الخالدية. كان هدف هذه الأرتال الخمسة وكتائب الخيالة المحدقة باللجاة من كل صوب وهي الكوكبات الشركسية الأربع والكوكبات الدرزية الثلاث وكوكبات الصباحيين الجزائريين والتونسيين والمراكشيين وما يؤازرها من الطائرات - جميع الطائرات الجاهزة للعمل. كان هدفها إبادة الثوار المعتصمين باللجاة، مع عائلاتهم ومواسيهم.

إلا أن هذا الهدف الرئيسي لم يتحقق، وإنما تحقق الهدف الثاني وهو إرغام من تبقى من أولئك الثوار على إخلاء المنطقة والانطلاق نحو الصفا شرقاً في أروهاب مسيرة ليلية وأقساها وأمرها ..

ويقول الأستاذ سلامة عبيد في كتابه ص ١٩٢ :

بالرغم من انتصار الثوار في كثير من المعارك فقد استسلمت المدن والقرى والكثير من المجاهدين خاصة القادة منهم مثل حمزة الدرويش والشيخ الهجري... وقد عملت الدعاية الفرنسية عملها في إيقاع الشقاق بين الطرشان الذين ظلوا محتفظين بزعامة الثورة وبين بعض زعماء عائلات المقرن الجنوبي، وبين الطرشان أنفسهم الذين كان قد استسلم أكثرهم.

هكذا بدأ الفتور في المنطقة مما دعا قائد الثورة لأن يكتب قائلاً: لا يمكن قيام البعض من القرى سوى بقوة السيف^(١).

(١) سلامة عبيد ص ١٩٢.

وهكذا بدأت الثورة تتحول من اندفاع ثوري عميق جارف إلى عصابات متفرقة تحرض على الاستمرار على الثورة بالتشجيع والتشويق وأحياناً كثيرة تقوم بإيقاع الأذى في أموال المستسلمين وطروشهم وممتلكاتهم. وكان مركز المقاومة في القرن الجنوبي قد انتقل إلى واحة الأزرق في الأردن. وهي في نظر أبناء الجبل من أملاكهم لآبار الملح والنخيل والبيوت فيها. من هذا المركز الجديد بدأت الثورة تشن الغزوات على القوات الفرنسية وعلى المستسلمين. وقد أقلقته هذه العمليات راحة القيادة الفرنسية مما جعلها تعقد مع الإنكليز اتفاقية حضر بموجبها على الثوار المسلحين دخول الأزرق، فصودرت الخيول وأحرقت البنادق وكادت تتلاشى المقاومة التي كانت تنطلق من هذه الواحة.

ويروي الأستاذ سلامة عبيد في كتابه ص ١٩٣ أنه جاء في مذكرات علي عبيد عن هذا الموضوع ما يلي^(١):

كانت حكومة الشرق العربي أصدرت أمراً مؤداه أنها لا تقبل في الأزرق الرجال المسلحين ولا تريد أن يكون الأزرق قاعدة جريية بل تقبل النساء والعيال.... ثم حضرت قوة الحدود الانكليزية وقدرها ستمائة رجل وأربع مدرعات وطيارتان بقيادة الكولونيل "غروب كبتين"..... وأعلن الإدارة العرفية وأن كل رجل لا يكون معه علامة ومرخص له بالبقاء في الأزرق يحبس من سنة وما دون.

وكنتم ترى الانكليز طولي البال ولكن شديدين بأحكامهم متمسكين بأوامرهم حريصين على تنفيذها^(٢). وكان اتفاق الانكليز والإفرنسيين حصل بسبب حرب الصين وصار من الضروري مساعدة بعضهما بعضاً. فأحرق (العسكر الإنكليزي) ما وجده من الخيام التي كان ضاربها هناك الأمير "عادل" والشوام ومسك ماء حسّان ونزل عليها. ومسك ماء العنقية وبقي عليها مدة ثلاثة أيام، لم يقدر أحد من الثوار أثناءها أن يتناول جرعة ماء.

(١) نفس المرجع ص ١٩٤.

(٢) علي عبيد ص ٤١-٤١.٣٣.

وبقي الأمير والباشا وصياح بيك وعموم رفقائهم ستة وثلاثين ساعة بدون ماء قطعياً....

وقسم اضطر لتسليم فرسه وبارودته لنجاة نفسه. فكانت جرعة الماء ثمنها فرس وبارودة ومات ثلاثة رجال من العطش وكان قد مضى على الثوار ثلاثة أيام لم يرددهم زاد قطعياً يأكلون الأعشاب مع مداومة الطليارات بالضرب عليهم.

إن حرب السنتين المذكورتين وشدتها لم تضايق المجاهدين أكثر مما ضايقتهم الإنكليز بمدة شهرين.

بعض القصائد للمعارك الأخيرة

الشاعر صالح عمار في معركة رساس

في معركة رساس^(١)

صايح لفا ^(٢) وجذبنا عموم	غملان والحملي ثغو عرساس
فرنسا خبيثة وفعلها مفهوم	طحان ما يغبر على كلاس
حرمت على عيونهم لذيذ النوم	تحاوطوه وعلقون قواس
من فعلنا شال وغدا مهزوم	من فعل ريع هدموا المتراس ^(٣)
وخلوا العساكر بالدموع تعوم	غملان ما طبّت عيونو نعاس ^(٤)
ومرقعين العبي دايم الدوم	بمعدلات ضريرهم بالراس ^(٥)

(١) رساس: أول قرية جنوب السويداء.

(٢) لفا: وصل.

(٣) شال: رحل - مهزوم: هارب.

(٤) طبّت: وصلت - ما طبّت عيونو نعاس: إشارة للقلق - خلّى: ترك.

(٥) مرقعين العبي: عامة الناس الفقراء - المعدلة: البارودة المتطورة.

كم فارس من ضريهم معدوم وكم قايد من فعلهم محتاس
 فرسان بالبلطات والقُدوم تنكات ياما كسروا بالفساس^(١)
 هذه بشوف العين ما هي علوم ولا هي قصص تأليف عن جساس^(٢)

قصائد معركة السوخر

قصيدة المجاهد صياح الأطرش أرسلها إلى المجاهد زيد الأطرش على أثر
 معركة السوخر سنة ١٩٢٥ :

نطيت روس مشمرخات الطوالي نابي على روس الشقا والمحادير
 عدي قريص الداب والسم سالي يبرم بقلبي مثل برم النواعير
 هاج القلب من واهجي وعفت حالي بحر طمما والموج طم الشخاتير
 من بعد ذا شديت حلو الشكالي حراً حمر من خاص هجن الخواوير
 مرباعها ما بين القريا وسالي مقيضها من الجوف لديره ضمير
 يشرب قرح مية مطر كالزلالي يرعى زهر نوار عقب التخاذير
 الكور عود الميس فوقه زهالي له خرج من خوف البنات الغنادير
 قوم اركبه يا غلام ودي رسالي لا تريع وأن طالت عليك المسافير
 علق بكورة بندقاً بالغزالي قوم احتزم من خاص حذب الشماشير

(١) البلطات والقُدوم: أسلحة بيضاء، تنكات: دبابات ومصفحات.

(٢) جساس: من بني مرة صاحب حكاية طويلة بحرب اليسوس.

اليا قفل يشدك مثل الهلالي	ينكح على اللي معسكرات المسامير
تلقى ربوع مركبين الدلالي	إخوان بلشه فاكين المظاهير
أخص منهم زيد ماضي الفعال	شوق الهنوف اللي قرونه دعاير
تعلمه بالصبح ما به زلالي	كون علينا صار ما مثله يصير
الخيـل جتـنا من الغرب والشمال	وصاحوا علينا صيحة ترعب الزير
ما رد منا غير قـرم العيالي	سلطان ذيب وعاديـا بالقراقير
ربعي بهم فراس يوم القتالي	عدوا بهم عدوة صقر بالعصافير
البعض من ربـعي غشاه الدلالي	أقضى ولا وكـد على الشر والخير
لا يا خسارة نقلهم للطلواني	لا صار ما يرووا حدود المشاطير
اللي شرد من لابتـي ما التواني	راياتهم عندي سواداً كما القير
يازيد ما وده علينا مطالي	قومو على قب الرمك بالشوابير
أنـحاك يا حامي عقاب التواني	جـرد جموعك تا انجازي المخاتير

شرح المفردات:

١. السوخر: خربة في جنوب الجبل قريبة من الحدود الأردنية. ٢. قريص الداب: ملسوع الأفعى. ٣. القرية وسالي: قريتان في الجبل. ٤. الجوف: في صحراء نجد. ٥. ضمير: شرق دمشق. ٦. التحاذير: الخطرة. ٧. الكور للهجين: كالسرج للفرس. ٨. الغزالي: مقدم الكور البارز. ٩. البندق: البندقية. ١٠. الشماشير: السيوف. ١١. إذا ما أسرع بدالك كأنه الهلال يسبق الخيول. ١٢. أباريق القهوة. ١٣. أخوان بلشه: لقب آل الأطرش. ١٤. الصبح: الصحيح. ١٥. قب الرمك: سروج الخيل. ١٦. الشوابير: المهاميز. ١٧. المخاتير: الذين يتعاونوا مع الفرنسيين.

جواب زيد الأطرش لقصيدة صياح معركة السوخر

الخمس ضجن يوم علمك لفي لي	صياح عدّي فوق نار على كير
من واهجي ناديت وين العيالي	اللي لهم عادات ذبح الطواير
جونى النشاما مفرجين الغوالي	من فوق قب كل أبوهم مضامير
أبو حسن يجداهم الذيب صالي	من فوق صفرا عدها خوية الطير
بإيمانهم حلو الموازر طوالي	ع جنابهم حذب السيوف المشاطير
مشهودن يوم الحشر والأهوالي	يخلوا خطا الفرسان مثل الدعاير
سعيد رزق ولايته بالكمالي	جونى كما رف الجراد المشاطير
نعمين في عرمان كلهم أشبالي	يوم الملاقاة يا انحاز المنايعر
أما محمد شوق بنت الغوالي	هاللي تعطر جعدها دوم بذير
يتلوه غلمه باللقا ما تبالي	عيال ملحم مكرمين المخاطير
لولا أخو سمية حامى التوالي	سلطان جمّاح الدروب المعاسير
يا الله يخيرو بجاه كل والي	بجال سورية حايزالعزوالخير

شرح المفردات:

- ١- النشاما: أصحاب النخوة. ٢- المضامير: الخيول الضامرة.
- ٣- يجداهم: يتقدمهم. ٤- خوية الطير: أخت الطير بسرعتها.
- ٥- مثل الدعاير: تتعثر بسيرها. ٦- سعيد رزق من عرمان.
- ٧- لايته: جماعته. ٨- المنايعر: قادة الجيوش.
- ٩- محمد "محمد الزغير" - الذير: منشور السمك.

معركة قيصما آب سنة ١٩٢٦

يا الله يا الله فوق العباد عالي	يا الله يا منشي السحاب والأمطار
تجيرنا من قاضبين الفسالي	خوان ما لهم أمانى على الجار ^(١)
بقيصما عملوا علينا جهالي	جنود المعاش وخلفهم جيش جرار ^(٢)
غاروا علينا قبل مد الحلالى	وهدوا علينا كما تهدد على الصقربو الفار ^(٣)
عفى النشاما يا قروم العيالي	ربعي هل الطولات صلفين الشوار ^(٤)
تلاطموا بيوم سوق المجالي	حدوا بهم واقفوا على فرد مشوار ^(٥)
اقفوا كما غيم حداه الشمالي	كسيري عليهم مثلها بعدما صار ^(٦)
سيكر كبير القوم واللى يوالي	جبتاه أسير بوجه سلطان متجار ^(٧)
وسلاح ربعي من موزار طوالي	من ضربهم يدعوا دما الضد فوار
بلادي عرين ورايين به شبالي	عنده نبيع أرواحنا بأرخص أسعار
حنا بني معروف أهل البسالي	من دور آدم والمراجل لنا كار
سلطان باشا يا حماة التوالي	ويا خالقي تنجي ربوعي من النار

(١) الفسالي: الموبقات

(٢) جنود المعاش: إشارة للمتطوعين.

(٣) مد الحلال: خروجه للرعي - الحلال: المواشي - هدوا: هجموا - بو الفار: آكل الفيران.

(٤) قروم العيال: الشجعان - هل الطولات: أهل المكارم - صلفين الشوار: أصحاب الرأي السديد.

(٥) تلاطموا: التقوا - سوق المجال: يوم الحرب - حدوا بهم: طربوهم - اقفوا: هربوا.

(٦) كسيري: انكسار - حداه: ساقه.

(٧) سيكر: الضابط القائد - متجار: مستجير.

معركة أبو زريق

يا الله يا اللي عالم السر والخفا	عرشك تعلّى فوق كل عراش
عز ربعاً جاهدوا في بلادهم	يا خالق الدنيا سهل وحراش
من بعد ذا يا راكب هيزعيه	منوة غريب الدار والطراش ^(١)
تمد من عندي على الرحب والسعة	تلفي الأزرق قبل ضب دغاش ^(٢)
سلم على الباشا وخبر عطوفتو	أحكي الصحيح ولا تكون غشاش
كونّ جرى ببوزريق ما ينحكابو	والرأس من رزم المدافع طاش
أول نهارة لنا ولا هو علينا	بس الموازرهمة الدفاش ^(٣)
وفعال ريعي مثل فعل الزناتي	ذياب ابن غانم مثلنا ما هاش ^(٤)
صمدنا كما تصمد سباع الكواسر	حاطوا بنا وعيّى علي ينحاشي ^(٥)
محمود ابن كيوان وولاد عمو	فزعوا من طليين عالرشاش
بقيصما ريعنا كثار وفوارس	لكن جمعهم عال حرب ما جاش
أما سبب تأخيرهم يا رفاقه	بنهار ريح وقالوا ما اسمعناشي

(١) الهزعيه: المركوب السريع.

(٢) ضب الدغاش: الظلام.

(٣) الدفاش: جرار البندقية.

(٤) هاش: قاتل.

(٥) عيّى: أبى - ينحاش: يقيض عليه.

دوح المعدل مثل كفي المخامر سمع الرمي من كان بالوشواش^(١)
النار ما تحرق سوى مان يدوسها ولا المعركة مثل الذي بفراس
اللي حضر بالكون منا كفاهم ريعي ذياب وعاديأ بكباش
من بعد ما فزنا عليهم خفضوا والبزر من جمع العدا حشاش^(٢)
خمسين رمكه راحت بكرم واحد من ضرب موزر باللقا ما اخطاش^(٣)
واختم كلامي بحمد ربي وخالقي اللي نظمها بظننتي ما اخطاش

الخاتمة:

بعد الخروج من اللجاة لم يستطع الثوار الثبات في الصفاة بعد أن روعت الطائرات عربان الغياث، وبعد أن تعرض المعتصمون بهذه التلؤل لمجابهة ثلاث مفارز من متطوعة الدروز من الشراكسة فانسحبوا بطريق البادية في اتجاه الأزرق. وكان الفرنسيون والإنكليز قد جددوا اتفاقهم لوضع حد لهذه الثورة التي كان قد مضى على نشوبها عامان كاملان^(٤)، فأبلغ البريطانيون سلطان وجماعته بأنهم لا يرغبون ببقائهم في المنطقة الإنكليزية وسمحوا للجنة فرنسية أن تراقب مضايقة الإنكليز الفعلية للثوار كما استقبلوا الكابتن "آرنو" الذي جاء يفاوض الذين يريدون التسليم^(٥) والعودة إلى الجبل. وفي النهاية عمد الإنكليز إلى قطع الماء عن الباقين من الثوار وإلقاء القبض على شبانهم وإيداعهم سجون عمان. وهكذا لم يجد الثوار أمامهم إلا صحاري نجد فقصدوها وحلوا بأرض النبك في وادي سرحان بعد أن

^(١) دوح المعدل: صوت - الرمي: إطلاق النار.

^(٢) البزر: الرصاص - حشاش: يحش ويحصد.

^(٣) الرمكه: الفرس.

^(٤) سلامة عبيد ص ٢٠٥.

^(٥) نفس المرجع ص ٢٠٦.

قابل شكري القوتلي الملك ابن سعود واستأذنه في قبول هؤلاء اللاجئين الذين بلغوا ألفاً وثلاثمائة وستين نفساً^(١) أنهكهم الجوع والشقاء والمرض والتقتيل والتشريد.

بقي الثوار المنفيون عشر سنوات في قرى الملح بوادي السرحان يعمل رجالهم بتجارة الملح ينقلونه إلى شرقي الأردن على الجمال ويبيعونه في أسواقها ويعتاشون من أثمانه ومن الإعانات البسيطة من المهجر^(٢).. وقد تحملوا شظف العيش والجفاف والجوع والحرمان والمرض بأقصى الأحوال والأشكال. ونسجوا الحكايات والقصائد الشعرية والروايات المتعددة.

فهذا الأمير عادل أرسلان في قصيدته: طال انتظاري للنهار الصبيح - يصف الليل والجفاف وشظف العيش في وادي السرحان^(٣)، وهذا علي عبيد يصف القهوة المرة ويتمنى شربها بين الخلان في السويداء. وهذا الأمير زيد يتحرق على الديرة والوطن ويعتب على من خان في قصيدته: يا ديرتي مالك علينا لوم... الخ.....

كما كانوا يتسلون أحياناً بالصيد والقنص وحتى بألعاب الأطفال "لعبة طس القعاقيز" وهكذا حتى صدور العفو عنهم سنة ١٩٣٧، فعادوا إلى الوطن معززين مكرمين ودخلوا دمشق دخول الفاتحين فاستقبلتهم العاصمة استقبالاً بهيجاً فرشت الشوارع سجاداً من أول المدينة حتى المرجة، وكانت سيارة سلطان المكشوفة مرفوعة على الأكف وهو يحيي الجماهير فيها من القدم "أول مدينة دمشق حتى ساحة المرجة ودار الحكومة. وهكذا اكتحلت أخيراً عيون الأكثرية من الثوار المنفيين برؤية تراب الوطن ومشاهدة مهرجانات واحتفالات التقدير التي يستحقونها...!!

(١) الرئيس ص ٦٦٥.

(٢) سلامة عبيد.

(٣) سلامة عبيد